— انها صحيحة فانا احبك من كل قلبي وقد تكون مصيباً فيا لله ما العمل فامهلني في الجواب ألا ترى اضطرابي وما اقاسيه فنظر الى وجهها الشاحب وجبينها المقطب فاخذته الشفقة وقال

— نعم اراهُ فارجئي الجواب الى هذا المساء واذهبي الآن فاستريحي

— وانت في سفرك قل للرئيسة عين ما قلتهُ لي فهي امرأة فاضلة فاذا سمعت كلامك وعرفت صفاتك قدرتك حق قدرك واحبتك فتحلي من وعدي

— اي وعد

— وعدتها انني لا انزوجك حتى . . . . فقاطعها وقال مغضباً

— حتى يتمّ الامتحان فاذهبي واستريحي الآن فقد عكّرت صديقتك صفاء ساعة كنت احسبها احلى ساعات حياتنا وخير لنا ان نقف عند هذا الحدّ من البحث فلا نتجاوزهُ الى ما لا تحمد عقباهُ فاذهبي ونامي فيخف بعض ما بكِ من الالم فاني ناسٍ ما قلتِ وليتكِ ترين ما في صدري فالوداع الى يوم اللقاء . قال ذلك ودار فمشى في سبيلهِ فصاحت باولين والبكاء يقطع كلامها اذكر حبي لك ياوريون ولا تنسهُ اما هو فلم يسمعها بل اسرع في مشيهِ وخرج من البستان

داء السرطان

واحدثُ الابحاثِ عن اسبابهِ

في مثل هذه الايام من العام الماضي صدرت مجلات الطب الامركانية والانكليزية كلها مشحونةً بالمقالات الطويلة عن الابحاث البكتيريولوجية التي قام بها مَعْمَلُ (او مختبَر) ولاية نيويورك البكتيريولوجي عن يد الدكتور جيلورد والدكتور پارك الجراح الامركاني المشهور اللذين قالا يومئذٍ بوجود حمياتٍ في الاورام السرطانية هي سببُ العلّة على زعمهما . وذاع قولهما هذا في كل اقطار المسكونة حتى ان الشركات التلغرافية عنَيت بنقلهِ الى كل انحاء المعمور لمّا رأتْ من ارتياح الناس الى الاطلاع على سبب السرطان واكتشاف ذلك السبب ضالتهم المنشودة

ولكن الاطباء والعلماء المدققين علموا منذ ذلك الحين ان اكتشافاً هامّاً كهذا يجب ألاّ يحلّ محل الاعتبار والتصديق إلاّ بعد التمحيص والتدقيق . ولذلك وقف العالم الطبي والعلمي فاظرًا بملء الرغبة والتشوّق الى اللجنة التي عينتها جامعة هارڤرد الشهيرة لتبحث عن هذا "الرأي الحلمي" حتى صدر تقرير تلك اللجنة في شهر مايو الماضي واذا بهِ تفنيد للرأي الحلمي بحججٍ دامغةٍ لا تقبل الرد والاعتراض تعود كلها الى ثلاثة براهين

(١) ان الحَلَميَّات التي قيل عنها انها هي سبب السرطان الاصلي اذا لُقِّح بها كبد الارنب مثلاً احدثت فيهِ أوراماً بسيطة اعراضها كاعراض سائر الالتهابات المزمنة البسيطة لاغير

(٢) ان هذه الاورام او الخراجات التي تتولد من ادخال هذه الحلميَّات الى جسد الحيوان يختلف بناؤها اختلافاً كليًّا عند بناء الاورام السرطانية

(٣) ان طبائع هذه الحَلَميَّات او مميزاتها البكتيريولوجية هي ذات المميزات التي ذكرها علماء البكتيرلوجيا سابقاً لحَلَميَّات اذاعوا انها هي اصل العلة ولكنهم بعد التجارب والامتحانات المتوالية لم يقدروا على تأييد دعواهم. ولذلك لم نعد نسمع عنها شيئاً مطلقاً . فرجع الاطباء بهذا التفنيد الى سابق عهدهم من حيث جهلهم سبب السرطان الاصلي وبالنتيجة عدم وصولهم الى علاج خاصٍّ لهُ يكفل الشفاء التام منهُ

ولا بدع اذا رأينا علماء الارض واطباءها قاطبةً يبذلون كل مرتخصٍ وغالٍ في سبيل الابحاث الدقيقة عن سبب السرطان تلك العلة الخبيثة التي اذا اصابت الانسان اوردتهُ حتفهُ بعد آلام مبرحة والاطباء حيارى في امرها يلتفتون اليها والى ضحاياها العديدين وهم مغلولو الايدي لا يدرون ماذا يفعلون

ومن مطالعاتي الاخيرة عن هذا الداء الوبيل وجدتُ ان اشتغال العلماء بهِ لا يقل عن اشتغالهم بالسل (التدرن الرئوي) العدو الالد لبني آدم ولكن العالم قد خطا خطوة كبرى في سبيل ما يعرف عن السل اي عن سببهِ وعلاجهِ والوقاية منهُ بعد اكتشاف باشلس كوخ السبب الاولي لهُ . لاننا بمعرفة السبب يسهل علينا البحث عن الوسائل الآئلة الى استئصال شأفة العلة او على الاقل الوقاية منها

قامت جمعيَّةٌ علميَّةٌ بفرنسا منذ عهدٍ قريب وعرضت مبلغاً كبيراً من المال جائزة لمن يكتشف دواء شافياً لداء السرطان . وقد اطلع على هذا الخبر علماء الارض واطباؤها ولكنهم كانوا يقرأون ويصمتون لانهم لا يعرفون السبب الاصلي لهذه العلة فكيف يمكنهم ان يعرفوا كيفية معالجتها بطريقة علميَّة ؟

وارسل جلالة الملك ادوارد السابع رسالة برقية في العام الماضي الى اعضاء مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وقال فيها : — " وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان قدَّركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهدٍ غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثالٌ في كل العواصم " . (١) وسمع هذا الكلام اعضاء ذلك المؤتمر وهم نخبة

(١) انظر مقتطف ٣٦ : ٨٥٢

علماء الارض . وطار بسرعة البرق الى كل اقطار العالم كيف لا وهو من كلام ملك يملك اعظم الممالك ولكننا للآن لم نسمع عن طبيب حاول اكتشاف دواء لهذا الداء ذلك لان البحث عن السبب اولى والوصول الى معرفته اول خطوة يجب ان نخطوها حتى نتمكن من الوصول الى علاج خصوصي له

وليس البحث عن اسباب السرطان حديث العهد بل يمتد الى اول اكتشاف علم البكتيريولوجيا واستخدام المكرسكوب في تشخيص الامراض نظراً لاهمية السرطان وكثرة فتكه بعباد الله وخصوصاً في مراكز العلم والتمدن في اوروبا واميركا . فقد قيل ان معدل الوفيات به في بلاد الانكليز لا يقل عن معدلها بالسل . ومن المعلوم ان اكثر علماء البكتيريولوجيا مثل فيفر وغيون وهانو وكليس وسن وغيرهم كثير من العلماء والاطباء والوا البحث سنوات عديدة للوصول الى سبب السرطان ولم يفلحوا لسوء حظ الانسان وكانت تجارب هؤلاء العلماء احياناً في الحيوانات كالارانب والخنازير الهندية واحياناً اخرى في الانسان نفسه وكلها لم تأت بنتيجة مرضية

نعم اننا نعلم الآن ان من الاسباب المهيئة الاستعداد الوراثي وهذا مما لا شك فيه اليوم وكبر السن وهذا مرجح بدليل ان الاصابة بالسرطان تندر ان تكون في من هم تحت الخامسة والعشرين وكثرة التعرض للآفات الميكانيكية وخصوصاً في من بهم استعداد وراثي لذلك . والاكثار من اكل اللحوم المملحة . والسكنى على ضفاف الانهر الكبيرة الى غير ذلك من المعدات للمرض . ولكن علمنا بها لا يكفي كما ان علمنا بالاستعداد الوراثي للسل لا يكون سبباً حاتماً على المرء بالاصابة به بل كثيراً ما ينجو منه المستعدون له اذا استخدموا الوسائط الكافية التي تقي من باشلس كوخ وبذلك تحفظ من العلة والخطر. وهذا يأتي بنا الى البحث عن هذه المسئلة وهي : —

هل السرطان معدٍ

يعتقد العامة ان السرطان علة معدية ولذلك تراهم في انكلترا يطلبون من الحكومة احياناً ان تأمر بعزل المصابين به خوفاً من ان ينتقل الى الاصحاء وهذا الاعتقاد مبني اكثره على كلام الاطباء قبل اكتشاف علم البكتيريولوجيا فانهم كانوا يعتقدون بعدوى السرطان ويعلمون الناس بذلك حتى اواسط القرن الماضي

اما الاكتشافات الحديثة فقد برهنت جلياً ان السرطان لا ينتقل بالعدوى ولو كان ينتقل بالوراثة حتى الى الاحفاد . ولذلك وجب على اهل المصاب واصدقائه ان لا يحجموا عن قضاء واجباتهم نحوه خوفاً من العدوى . فقد جمع الدكتور ديماركي تاريخ ١٣٤ حادثة بها لقح الجراحون انفسهم بخلايا الاورام السرطانية ولم يصبهم ادنى عرض من اعراض هذا

الداء . واحدث تجربةٍ وقفت عليها من هذا القبيل اجراها الدكتور سنn Senn الجراح الاميركاني الشهير وقد قال عن نفسهِ ما ملخصهُ : — " في ٤ مايو سنة ١٩٠١ فحصتُ نفسي بخلايا سرطانية اخذناها من غددٍ لمقاومةٍ مصابةٍ بالسرطان في رجل ارلاندي عمرهُ ٦٠ سنة . وتاكدنا تشخيص العلة بهِ بالفحص المكرسكوبي ..... ومضى الاسبوع الاول ولم اشعر بشيءٍ مطلقاً مكان التلقيح وفي الاسبوع الثاني شعرت بظهور نتوٍ مثل دملة صغيرة في محل الجرح دام اسبوعين ثم اخذ في الزوال رويداً رويداً حتى انني لم ارَ منهُ شيئاً في آخر الاسبوع الخامس "

والدكتور كلبس Klebs جرَّب هذه التجربة عينها في عنقهِ وفي كثيرين من مساعديهِ اربعين مرةً وكانت النتائج سلبيةً فيها كلها . وعلى هذا بنى قولهُ المعروف وهو : — " مادمنا لا نقدر الآن ان نلقِّح السليم بخلايا سرطان المصاب او بالجلميات الموجودة فيهِ ونولد فيهِ المرض عينهُ بكل اعراضهِ فكل ابحاثنا الهستولوجية البكتيريولوجية المقصود منها معرفة سبب السرطان الاصلي هي في خطةٍ غير الخطة التي يجب ان نسير فيها للوصول الى هذه الغاية اعني معرفة السبب " . وهذا ايضاً يأتي بنا الى امرٍ آخر لهُ علاقة بمعرفة السبب وهو

هل السرطان آخذٌ في الازدياد

من المشهور عند كل العامة وقسم كبير من الاطباء ايضاً ان السرطان آخذٌ في الازدياد الى درجةٍ اوجبت خوفهم الشديد منهُ وقد راع هذا القول الناس ولاسيما في انكلترا واميركا . ولكنهُ كقولهم ان السرطان معدٍ لم يقم دليلٌ علميٌّ على صحتهِ للآن . بل المرجح اليوم عند طائفة كبيرة من الاطباء ان عدد المصابين بالسرطان لم يزد عمَّا كان عليهِ قبلاً . لكن معرفتنا بهِ وبطرق تشخيصهِ زادت كثيراً عن الماضي وخصوصاً بعد استخدام المكرسكوب والفحص الرمي في التشخيص

فاذا كان السرطان لا يعدي ولا هو آخذ في الازدياد حال كوننا نجهل طرق مقاومتهِ فيكون " الرأي الحلمي " ضعيفاً لا نقدر ان نعمل بهِ في الوقت الحاضر

علاقة السبب بالعلاج

لا شك ان الغاية التي يتوخاها الطبيب هي مساعدة الطبيعة على شفاء الامراض او تخفيف آلامها . ولذلك قلما ترى العامة وقسماً ليس بقليل من الاطباء يهمهم البحث عن اسباب العلل الرئيسية او كيفية تشخيصها . بل جلُّ ما يهمهم هو كيفية علاجها او استخدام الوسائط للوقاية منها

ولكن الاطباء قلما يقدرون في الوقت الحاضر ان يجاروا الناس على افكارهم وخصوصاً في المسائل المتعلقة بشفاء اكثر الامراض الخبيثة كالسرطان والسل وكثير غيرها . ولكنهم يأملون بالفوز العاجل على هذه الاعداء الشديدة الوطأة على الجنس البشري نظراً لتقدم علم البكتيريولوجيا

في هذه الايام . وذلك ميكفل لنا ولو بعد حين كشف الجراثيم التي هي السبب الاصلي لهذه العلل . وعندئذٍ يسهل على الاطباء محاربة عدوٍ محسوسٍ عرفوا طباعهُ ومميزاتهِ وتحققوا ما يضعفهُ او ما يميتهُ

وهذا يُظهر لك السبب في عدم نجاح الاطباء اليوم في معالجتهم السرطان اعني عدم تحققهم ماهية الجراثيم الحية التي هي اصل العلة

نعم اننا نستخدم الآن بعض العقارات الطبية كالزرنيخ والكوندورانغو والشلدونيوم (وهو ما سماهُ المقتطف نبات البتوع . انظر مقتطف ٢١ : ٧٣) والترنتين وما اشبه . ولكنها كلها لم تأتِ بفائدة تذكر . وقد استخدم بعضهم كيَّ التورم السرطاني نفسهِ اما بالحديد المحمى بالنار واما بنترات الفضة كما انهم استعملوا حقن السرطان بالفورمالين او المثيل الازرق — وذلك كلهُ لم ينجِ المصاب من مخالب الموت ولو خفَّف وبلات المرض نوعاً

ولما سرى القول بان سبب السرطان بعض الحلميات حاول الدكتور كولي Coley النيويوركي استعمال مصلٍ لشفاء هذه العلة بطريقةٍ تشبه طريقة رو في مصل الدفتيريا (الخانوق) . ولكنهُ لم يفلح طبعاً . لان سبب العلة لم يتحقق بعد وسبب الدفتيريا صار امراً محققاً لدى الجميع

والمعوَّل عليهِ اليوم هو استخدام الجراحة لشفاء السرطان . اي استئصال التورم باصولهِ وخصوصاً في بادىء الامر فذلك يطيل حياة العليل ويحبب الحياة لديهِ ولو كان العضو المنزوع معدتهُ كما بيَّنا ذلك في العام الماضي وتقاريرُ كل الجراحين والاطباء تدلنا على ان السرطان لا يرجع الى صاحبهِ بعد استئصالهِ من اول الامر بكل اصولهِ الاَّ بعد ٣ سنواتٍ الى عشر . وانهُ من الممكن ان تختفي العلة بالكلية في بعض الحوادث بعد العمليات الجراحية

ومع ان سكين الجراح اتت بفوائد جمة في ما يتعلق بعلاج السرطان لا تعدُّ العلاج الخصوصي لهُ . ولا علاج معروف لهُ حتى اليوم لاننا لا نعلم سبب العلة وماهيتها كما قدمنا

وعلى ما رأيت من اخبار الولايات المتحدة علمت بان معمل ولاية نيويورك البكتيريولوجي لا يزالُ آخذاً في البحث عن سبب السرطان ولو كان قد اعترف بفساد الرأي الحلمي . وان مدرسة الجراحين من جامعة هارفرد في بوسطن اخذت في البحث بطريقةٍ جديدة عن السبب نفسهِ ايضاً . وما علينا الآن سوى الصبر والتعلل بالآمال لنرى ما تأتينا بهِ لنا الولايات المتحدة بلاد العجائب والغرائب

الدكتور

سان باولو بالبرازيل سعيد ابو جمره